مريحة ومربحة وتحمل صاحبها مرة كل يوم الى المدينة ، وان الشيخ سلمان اختاره من بين الجميع لهذا العمل وعليه أن لا يخيب أمل الرجل فيه .

واستدار ومضى وتركني مع سمرا عاجزين عن قول ايما شيء : كان يبدو انه يحب وظيفته بلا حدود ، ويسعده ان ينقل الاوامر والطلبات التي يعرف انها لا ترد ، كان معروفا هنا بسلطته القوية وعناده المستمد من دقته في تنفيذ اوامر الشيخ سلمان وحرصه عليها ، والواقع انه لم يكن يحس بأنه انسان آخر غير الشيخ سلمان ولذلك فحين يكون الشيخ هنا فانه يختفي ، وحين يغيب الشيخ يبدو في كل مكان في كل الاوقات . وكانت سمرا تنظر اليه محتارة وهو يدق بحذائه الثقيل الساحة الامامية لبيت الشيخ سلمان متجها نحو الحقول ، وحين غاب استدرنا وذهبنا الى الاسطبل لنلقي نظرة أخرى على الحمير .

لقد كرت المسبحة فجأة بالطريقة التي كان يتوقعها قاسم في أعماق نفسه دون أن يقدر على تحديدها بالضبط : وصل الى عكا في الصباح ، وقبل أن يدور حول الساحة متجها الى الحسبة في آخر حديقة البلدية التي تصفر فيها اوراق الكينا زعقت قربه سيارة ، وقرقعت اصوات الاحذية الثقيلة واصوات أعقاب البنادق المكتومة ، وخشخشت القيود ، ووجد نفسه محاصرا فيما اخذت الحمير ، وقد فوجئت ، ترتد نافضة اعناقها الثخينة وتصدم بعضها بعضا ، وأطبقت الايدي على جسده من كل ناحية ودفع دونما اتجاه مرتين او ثلاث مرات .. الا أن ذلك حدث وكأنه كان يتوقعه بالتفصيل تماما ، فلم يقاوم ، والواقع انه كان يساعدهم بطريقة ما ، فقد سهل على العسكري الذي كان اكثرهم حماسا ربط القيود حول معصميه ، وتقدم نحو السيارة من تلقائه وصعد اليها دون الاستعانة بأي شيء ، والقى نظرة كسيحة على الحمير وقد ظلت واقفة تنفض رؤوسها باحثة عن اتجاه ما ، وحين شقت السيارة طريقها بين الناس الذين تجمعوا نظرت قبالتي ، وكنت اتوقع ان أراه هو ذاته كأن ذلك كان شيئا مرسوما منذ ولدت ، وتلاقت نظراتنا . كان يبتسم ابتسامة الرجل الذي انتصر اخيرا على غير توقع منه . اسمه الكابتن بلاك ، وقد عطلت أنا بلا شك صعود رتبته ثلاث سنوات كبيرة ، بالاضافة الى المرارة التي سببتها له طوال ذلك الوقت الطويل . نظر الى قدمي أولا وهو ما زال يبتسم خارجا من كابوس لا يتصوره العقل ، ثم الى صدري ، ثم الى عيني مرة اخرى ، ثم وجد الكلمة المناسبة فقالها من بين اسنانه ، « واخيرا يا عبد الكريم ! »

وفي ذلك المساء قالوا في الغبسية : لقد كان العاشق مجرما خطيرا اختفى هنا فترة من الوقت وخدع الرئيس والشيخ سلمان وكل شيء والحمد لله الذي جعلهم يمسكونه قبل أن يرتكب جريمة اخرى .

وفي الصباح الباكر وصل الشيخ سلمان الى الغبسية على غير توقع من احد ، كان وجهه مضرجا بالغضب وكان ينتفض ، وحين امسك الرئيس بلجام الحصان قفز الشيخ سلمان بفتوة شاب من مقعده وأخذ يركله ، وعرف الرئيس فورا انه سيدفع غاليا ثمن اهماله في التقصي قبل أن يقبل الموظف الجديد ، فترك المكان مسرعا واخذ يعدو .

واكمل الشيخ سلمان خطواته الغاضبة الى البيت فيما شبت سمرا على قائمتيها الخلفيتين واخذت تصهل صهيلا ممطوطا كأنه النواح . مجرم في منزلي ، محكوم بالاعدام . وقال له ضيوفه مهدئين : « ولكنه وقع اخيرا في جزاء أعماله » .. وضحك الشيخ سلمان بمرارة واخذ يهز رأسه . كلا . لم تنته قصته ، العاشق هذا ، قاسم ، عبدالكريم . الشيطان ذاته . سيعتقد الانكليز انني كنت اخبئه هنا .. من يصدق ان الشيخ سلمان لم يكن يعرف ؟ لعنة الله عليك يا رئيس يا مجنون .

ثم حلف الشيخ سلمان يمينا بالطلاق ان يرمي الرئيس بالرصاص اذا رآه في الغبسية ، من هنا الى الابد .